



تاريخ الوطن

الإثنين، 20 فبراير 2012

د. زكي سالم

عن دار الكتب والوثائق القومية صدر مجلد مهم تحت عنوان «صفحات من تاريخ الوطن» عن المؤرخ الكبير الدكتور رؤوف عباس، وقد أشرف على صدوره الصديق النبيل الدكتور عبادة كُحيلة، الذي قدم للكتاب بمقدمة إنسانية ضافية، تناول فيها علاقة الصداقة العميقة التي جمعتهم بمؤرخنا الراحل، فقد جمع بينهما تخصصهما في التاريخ، وعملهما في جامعة القاهرة، ثم اهتمامهما بالشأن العام، واشتراكهما في النضال السياسي والجهاد الوطني، سواء في حركة كفاية صاحبة الفضل على ثورة يناير، أو في جماعة 9 مارس لاستقلال الجامعة، كما يشترك المؤرخان في حب الثقافة بمعناها الواسع، وميلهما للياسر بوجه عام، وللناصرية بوجه خاص. لكن ناصريتهما هذه لم تمنعهما -بحكم ثقافتهما واتساع رؤيتهما- من رؤية ما كان يفتقر إليه عبد الناصر من ديمقراطية، وهنا يصف د. عبادة ديكتاتورية ناصر بقوله: «صحيح أنه كان صاحب مشروع نهضوى، كما كان منحازا إلى الفقراء، لكنه لم يسمح لهم، ولا لغيرهم، بأن يشاركوه في صنع القرار، فقد كان هذا القرار شأنه وحده دون غيره، الأمر الذي أفضى بهؤلاء إلى السلبية، ومن ثم كان من اليسير الإطاحة بتراث ناصر بعد رحيله».

وفى المجلد مجموعة كبيرة من أهم مقالات مؤرخنا الراحل، التي كتبها في الشأن العام على مدى ستة عشر عاما (1992 – 2008)، وكما يقول د. عبادة عن هذه المقالات: «جميعها يشي بكون صاحبها متقفا شاملا ملتزما بتعبير سارتر، أو متقفا عضويا بتعبير جرامشى، مهموما بعصره وقضايا عصره، لا يقف منها موقف المتفرج، أو الراصد، إنما يقف موقف الناقد، أو موقف المشارك، أو هما معا».

وثمة مقالات أخرى فى هذا السفر القيم- فى التاريخ، والتاريخ الحديث والمعاصر، فقد اهتم د. رؤوف عباس -مثلا- بالعصر العثمانى الذى امتد إلى نحو ثلاثة قرون، ونوّه إلى ما ساد هذا العصر من تسامح احتوى ديانات ومللا ونحلا وأعرافا وثقافات عديدة.

ويحدثنا مؤرخنا الراحل عن ثورات المصريين على القهر والظلم والاستبداد منذ أيام الفراعنة (عام 2280 قبل الميلاد)، وحتى عصرنا الحالى، وقد تنبأ د. رؤوف بالثورة المصرية فى مقابلة صحفية فى السابع عشر من مايو 2006، وفى مقابلة تليفزيونية مع مجدى مهنا، فى الخامس والثانى عشر من أغسطس 2007، وأكد أنها سوف تكون إحصارا ربما يفوق فى مداه إحصار تسونامى.

فشعبنا الحليم يصير كثيرا ويتحمل طويلا، لكنه قادر فى لحظة تاريخية مدهشة -يحددها هو وحده- أن يهب هبات عظيمة تلحق الدمار برموز الظلم والاستبداد، وثمة قرائن تاريخية عديدة تقدم الأدلة على عدم قبول المصريين للظلم، ورفضهم الذل والمهانة، وتحفزهم لمواجهة الطاغية وجنوده عندما ينفذ صبرهم، وتلك القرائن تدحض الربط بين نمط الإنتاج الاقتصادى والسلوك الجمعى للشعب، مثل الربط بين البيئة الزراعية والمسالمة والخنوع. وذلك لا يعنى أن المصريين ميالون للعنف وسفك الدماء، فالعنف فى سلوكهم استثناء تدفعهم إليه كثرة المظالم.

<http://tahrirnews.com/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86/>